الشعور بالعداء تجاههم مستمر في فرنسا وغيرها لكنه تحول إلى مصدر قوة

معارك حول اليهود في الفكر الفرنسي



د. سعد البازعي



مشهد من الفيلم السويسري «ظلال الملائكة» الذي اتهم بمعاداة السامية ودافع عنه الفيلسوف دولوز

اقترن وضع اليهود في فرنسا في العصر الحديث بقضية شهيرة كانت نقطة تحول في وضع اليهود والموقف الأوروبي ثم الغربي عمومًا تجاههم. تلك كانت قضية الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس الذي اتهم عام 1894 بالخيانة ونهض بعض المثقفين الفرنسيين، بقيادة الروائي إميل زولا، للدفاع عنه بحجة أن التهمة الموجهة ضده كانت بسبب كونه يهوديًا. وكانت تبرئة دريفوس بعد سجنه خمسة أعوام ومحاكمته مرة أخرى انتصارًا لمناهضي العنصرية وما نظر إليه منذ ذلك الحين على أنه معاداة للسامية.

بعد الحرب العالمية الثانية عادت قضية اليهود الفرنسيين بشكل عام لتلح من جديد بعد ما حدث لهم على يد النازية وعودة الناجين منهم إلى بلادهم. أثار ذلك سؤال الموقف من اليهود مرة أخرى فتناولها عدد من الكتاب الفرنسيين كان أبرزهم جان بول سارتر الذي أصدر عام 1946 كتابًا بعنوان «تأملات في المسألة اليهودية» شجب فيه سارتر معاداة اليهود (أو معاداة السامية) في محاسبة للضمير الفرنسي الذي اتهمه أحد أكبر كتاب فرنسا عندئذٍ بالموقف العنصري تجاه فئة تعد جزءًا من الشعب الفرنسي.

ومع أن أوضاع اليهود في أوروبا كانت طوال القرون الماضية، تحديدًا منذ عصر نابليون وخروجهم من الغيتوهات المضروبة حولهم، محل جدل وخلاف متوتر على مختلف الصعد وإلى حد يقترب من العنف أحيانًا، فقد انفردت فرنسا بأن معاركها تلك صارت جزءًا بارزًا، قد لا نبالغ لو قلنا جزءًا صارخًا، من حياتها الفكرية والجدل الذي لا ينتهي بين مثقفيها وفلاسفتها وإعلامييها. ولم يكن اليهود أو ما عرف بالمسألة اليهودية هي التي استأثرت بالجدل الحاد، فقد كانت هناك دائمًا قضايا أخرى كثيرة عالية القيمة والأهمية، لكن ما ميز المسألة اليهودية هو ارتباطها ببعض تلك القضايا أو المسائل البالغة الأهمية مثل الهوية والمبادئ الفرنسية، لا سيما تلك التي تباهي بها فرنسا بوصفها مبادئ الثورة الفرنسية وركائز التنوير، أي الحرية والأخوة والمساواة. وكان لليهود دائمًا وضع خاص بين شرائح المجتمع الفرنسي، كما هو الحال في مجتمعات غربية أخرى، وضع يعود إلى تاريخهم الديني والعرقي وحضورهم القديم والمتجذر في لحمة الحياة والثقافة في الغرب، وهو حضور إشكالي، بل عالي الإشكالية، بطبيعته نتيجة لخلاف ديني وعداء متأصل.

كان ذلك التاريخ يخطر ببالي وأنا أقرأ بعض ما كتبه المفكرون الفرنسيون في هذه المسألة التي شغلتني منذ أيام اشتغالي على كتاب «المكون اليهودي في الحضارة الغربية» (2007) ووجدت الكثير مما يعيدني إلى بعض المسائل العالقة في التاريخ الأوروبي والغربي عمومًا نتيجة للحضور اليهودي وتأثيره. وكان مما عثرت عليه كتاب الفيلسوف الفرنسي آلان باديو بعنوان «تأملات في معاداة السامية» الذي نشر عام 2011 وترجم إلى الإنجليزية عام 2013. ولأن باديو من أبرز فلاسفة فرنسا بل أوروبا المعاصرين والأحياء فقد اكتسب كتابه بالنسبة لي أهمية خاصة لأنه يؤكد استمرار الجدل في بيئة أوروبية يظن البعض أنها قد تصالحت مع العناصر اليهودية فيها أو أن اليهود قد اندمجوا حتى لم يعد هناك مبرر لمشاعر عداء تجاههم في معقل الفكر التنويري ومصدر الثورة التي يؤرخ بها الكثيرون لميلاد الحرية في هذا العصر.

ما يتبين من كتاب باديو وغيره هو أن الشعور بالعداء تجاه اليهود مستمر في فرنسا وغيرها، لكن ما يتبين أيضًا هو أن ذلك الشعور تحول من مصدر تهديد إلى مصدر قوة لبعض اليهود تمامًا كما هو الحال مع المحرقة (الهولوكوست). فالمحرقة التي تجرّم الكثير من القوانين الأوروبية إنكارها صارت سيفًا مسلطًا على الرقاب يقيد الكلام بل وأساليب التفكير قبل التعبير. وكذلك هو الحال مع مشاعر العداء التي يختلف وضعها القانوني لكن عقوبة التعبير عنها تصدر عن قوة الخطاب الثقافي والاجتماعي وبالتالي السياسي، فهي تهمة جاهزة تنتظر أي إيحاءات في كلمة أو عبارة بغض النظر عن المقصود منها. فسارتر مثلاً، على الرغم من دفاعه القوي واندفاعه العاطفي في مهاجمة من يعادون اليهود يُنتقد لأنه لم يشر بشكل واضح وبإدانة لا ريب فيها للهولوكوست.

في عام 1976 نشر فيلسوف فرنسي شهير آخر هو جيل دولوز مقالة في صحيفة «اللوموند» حول فيلم للسويسري دانييل شميد عنوانه «ظلال الملائكة» تضمن شخصية يهودية يشار إليها بـ«اليهودي الثري». أشار دولوز إلى أن الفيلم اتهم بمعاداة السامية وأنها تهمة باطلة، محللا الفيلم داعيًا قراءه لمشاهدته والحكم عليه متسائلاً عما إذا كان مجرد استخدام كلمة «يهودي» مدعاة للاحتجاج: «إن ما يحدث أشبه بمحاولة حجب كلمة عن القاموس»، ومتهمًا «عصبة معاداة السامية» بأنها تربط مجرد استخدام تلك الكلمة بمعاداة السامية. ما يحدث، حسب دولوز، هو نوع أو أنواع من الفاشية الجديدة التي تهدد مجتمعات مثل المجتمع الفرنسي: «مهما تكن الفاشية القديمة حقيقية وقوية في الكثير من البلدان، فإنها ليست المشكلة التي تواجهنا اليوم». الفاشية الجديدة، التي تكمن في «الاتفاق العالمي حول الأمن، حول المحافظة على (السلام)، لا تقل رعبًا عن الحرب». تلك الفاشية الجديدة تكمن في عدم القدرة على التعبير عن أنواع معينة من القلق أو المخاوف، الخوف من إظهار الاختلاف أو الاحتجاج على سلوك ما أو قلق ما. تهمة معاداة السامية، بتعبير آخر، مظهر آخر من مظاهر تلك الفاشية التي بات أحد مفكري فرنسا يخشى من أن يتهم بها. وبالفعل فقد اتهم دولوز بتلك التهمة ليس لدفاعه عن الفيلم السويسري، الذي منعت عرضه وزارة الثقافة الفرنسية عام 1977. وإنما بالدرجة الأولى لمواقفه المناهضة لإسرائيل ودفاعه عن الفلسطينيين كما في عنوان الحوار الذي دار بينه وبين الكاتب الفلسطيني إلياس صنبر تحت عنوان «هنود فلسطين»، حيث يُشبه الفلسطينيين بالهنود الحمر للإشارة إلى محاولة إسرائيل التخلص منهم كما فعلت أميركا مع الهنود.

ما كتبه دولوز وباديو وغيرهما من مفكري فرنسا شكل موضوعًا لكتاب أصدره عام 2015 الباحث الفرنسي إريك مارتي عنوانه «الفكر الفرنسي المتطرف وعودة (المسألة اليهودية)». ومارتي من المنافحين عن اليهود وممن يكيلون تهمة معاداة السامية لمن ينتقدهم، وما نشره يؤكد أن ما أشير إليه هنا بات بالفعل ظاهرة واضحة ولافتة للاهتمام وجديرة بالتحليل. لكن لأن الظاهرة أكبر من إمكانية تناولها بشكل شامل في هذا الحيز سأكتفي بما ذكرت لأشير في مقالة قادمة إلى بعض ما كتبه آلان باديو حول موضوع اليهود ومعاداة السامية، الموضوع الذي يهمنا في هذا الجزء من العالم على نحو لم تعرفه فرنسا أو الغرب بشكل عام.



ميرزا الخويلدي

«السحلية» في الكويت!

شيء مشابه لفيلم «السحلية» الإيراني حدث في الكويت قبل أيام. ويحدث في غيرها كل يوم. حكاية المتلبسين بالدين الذين يسطون على إيمان الناس ووعيهم.

فيلم «السحلية» يروي قصة هذه النوعية من الأفاقين الذين يستغلون الدين للنفوذ للمجتمع وتحقيق مآربهم، هو أيضًا يكشف القشرة الهشة من الوعي الفردي والجمعي الذي يتآكل أمام الخطاب المتشح بلباس الدين، حيث يمكن لأي محتال أو نصّاب أن يحقق مآربه لمجرد التلبس بثياب الأتقياء. «السحلية» فيلم إيراني جريء عرض في عام 2004 للمخرج كمال تبريزي، ويؤدي دور البطولة باقتدار الفنان برويز برستوئي، يروي قصة شاب يسمى «رضا السحلية» يمتهن النصب والاحتيال والسرقة والسطو على المنازل، حتى يقوده حظه للسجن، ثم يحاول الفرار لكنه يفشل، وبعد أن يشتبه في أنه يوشك على الانتحار يتم نقله إلى المستشفى، وهناك يلتقي بواعظ «شيخ» يرتدي العمامة يُصادف أن اسمه «رضا» أيضا، فيقيم معه صلة ما يلبث أن يسرق ملابسه وأوراقه الثبوتية ويهرب. وبمجرد خروجه من غرفة المستشفى، يُفاجأ أن العالم يفتح له ذراعيه؛ يلتمس منه البركة والدعاء، وحين ركب القطار قاصدًا الفرار يتم توجيهه إلى الدرجة الأولى تكريمًا لعمامته، ثم يقوم السائق بجلب سيدة وابنتها الشابة للركوب معه حفاظًا عليهما، فأي مكان أكثر أمانًا للمرأة من وجودها بجانب رجل دين؟!. المرأة نفسها لم تفوت الفرصة، راحت تشتكي لهذا الشيخ همومها وتكشف له أسرار بيتها، وما تلاقيه ابنتها الشابة من زوجها، حتى أنها كشفت له عن بعض جسد ابنتها لكي يرى بعينه علامات الضرب والتعذيب على جسمها، وحين تجد أن ابنتها مترددة، تردعها قائلة إن الشيخ مثل الطبيب يمكنه أن يكشف على جسدك..!

في القطار يجد نفسه وجها لوجه مع الحقيقة، حين يطلب منه الركاب وفيهم ضباط عسكريون أن يؤمهم للصلاة، غير مكترثين بالخلل في أدائه والارتباك الذي ينتابه.. حسنًا ها هو النصاب الديني يبدأ مهمته بالاستيلاء على أهل الفطنة والكياسة أيضًا!.

يصل الشيخ رضا إلى القرية التي يريد، وبمجرد أن يرى أهلها شيخا مرتديًا لباس الصالحين ينهالون عليه إكرامًا ورعاية، ثم يقدمونه للمسجد ويعينوه أمامًا لهم. لكن من أين لهذا الرجل البسيط الذي لا يتقن شيئا من العلم أن يعظ الناس أو يرشدهم..؟، هنا يستعين المخرج بالكوميديا السوداء، حيث يقدم الشيخ خطابًا بليغًا محشوًا بالكلمات المنمقة التي لا تعني شيئا ولا يُفهم منها شيء، والناس البسطاء يتمايلون وتدمع أعينهم. وحين راقبه بعض الصبية ورأوه يخرج في الليل لممارسة هوايته المعتادة في السرقة، كذبّوا أعينهم وقالوا إنه ربما كان يقوم بمساعدة المحتاجين ليلاً، تلك كانت مسحة إضافية للقداسة تمتع بها. في الأخير يسقط هذا الشيخ المزيف في يد الشرطة.

في الكويت نجح مدع أردني الجنسية، أن يخدع الناس بمخلف اتجاهاتهم ومذاهبهم، مدعيًا أنه شيخ سني، ثم سيد شيعي، ثم متصوف، ليتمكن من خداع الجميع من أجل كسب المال. قصة هذا الرجل أشدّ خطورة من قصة «رضا السحلية» لأن رضا نصّاب فهلوي لا يتقن حتى أداء العبادة وصياغة الخطاب، ولذلك ظلّ حبيس قرية نائية، ولو أمكنه أن يمتلك ناصية الخطابة والبلاغة لأصبح شيئا كبيرًا، أما سحلية الكويت فقد نفذ بسرعة السهم في التجمعات الدينية يخطب في هؤلاء عن ظلامة الزهراء وفي أولئك عن مكانة الصحابة، والجميع يتلقى الخطاب المشحون بالخوف من الآخر غافلاً أن الخطيب ليس سوى أفّاق ونصّاب.

هذه مصيبتنا.. أننا نؤجر عقولنا شقّقًا مفروشة لكل محتال متلبس بالدين ليعيث فيها فسادًا، يسترخي النصاب الديني ويوجه عقول الناس نحو البلادة أحيانًا، والتطرف والعدوانية أحيانًا أخرى.

رحل في القاهرة عن 86 عامًا مخلفًا 15 ديوانًا

السفير عبد الرحمن إبراهيم القاضي.. عاش وعمل وكتب بعيدًا عن الأضواء

عبد الرحمن الشبيلي

ما أقسى أن يرقب المرء لقاء عزيز عليه في مرضه، ثم تعاكسه الظروف حتى اليوم الأخير من حياته، فتبقى حسرة في خاطره، وغصّة يتجرّعها بصبر، ويبتلعها بعميق حزن، يستشعر حكمة الله وإرادته في عدم تحقيق أمنيته، والصديق السفير عبد الرحمن القاضي كان في وضع حقيق بزيارة محبّيه، أمضى الأشهر الثلاثة الأخيرة بين المشفى والمنزل، محتفظًا بذاكرة وفيّة لمحبّيه، وروح محتسبة عالية، ومشاعر كريمة لمن حوله، والطرفة المرحة لا تفارقه مُهجته في بهجة متحرّكة في كل الظروف والمناسبات ومع كل من يعرفهم من الرسميين أو الأصدقاء، اختار الإقامة في القاهرة التي أمضى سنوات الدراسة الجامعية وبعضًا من سنوات العمل الدبلوماسي المبكر فيها.

والراحل الكريم عن 86 عامًا، هو حفيد «شاعر نجد الكبير» محمد العبد الله القاضي، ورث عنه الموهبة الشعرية والمعاني الرفيعة، لكنه حوّل تلك الموهبة من العامية إلى مقطوعات إخوانيّة بالفصحى، محتفظًا بها في نحو خمسة عشر ديوانًا مطبوعة في القاهرة محدودة التداول، ثم حالت ظروفه الصحية وضعف البصر دون الاستمرار في إنتاج مزيد منها، ولم يرغب في نشر شيء منها صحافيًا، وكانت قصائده خاصة لا يتجاوز معظمها عشرة أبيات.

تخرّج في جامعة القاهرة في منتصف السبعينيات الهجرية (أواسط الخمسينيات الميلادية) بتخصص الحقوق، وكان من زملائه في الدراسة عبد الرحمن منصوري وكيل وزارة الخارجية، يمثِلون الجيل الثاني من البعثات السعودية للدراسة في مصر، وفي الوقت نفسه عاصر في عمله معظم الجيل المخضرم من الدبلوماسيين والسفراء والقناصل السعوديين وعمل مع كثير منهم، من أمثال عمر السقّاف وإبراهيم السويّل ومحمد الحمد الشبيلي وعبد الرحمن الحليسي وطاهر رضوان وعبد الرحمن العمران وعبد العزيز وعلي الصقير وبكر خميّس وعبد الرحمن العبد العزيز الشبيلي ومحمد إبراهيم مسعود



السفير عبد الرحمن إبراهيم القاضي في شبابه

وإبراهيم السلطان ومأمون كردي وناصر المنقور وفؤاد ناظر ومحمد المنصور الرميح وعبد العزيز وحمود الزيد وجميل الحجيلان وعبد الرحمن أبا الخيل ونوري إبراهيم وخالد الناصر التركي وعبد الرحمن البسام وعبد الله حبابي وغيرهم، وتدرّج في مختلف الوظائف في ديوان وزارة الخارجية، واختير في نهايتها رئيسًا للدائرة العربية، وحضر كثيرا من مؤتمرات الجامعة العربية والجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، ومكث في الوظائف الدبلوماسية طويلاً قنصلاً عامًا في نيويورك، وفي السفارات السعودية في القاهرة ثم في بيروت، ثم عيّن في منتصف السبعينات الميلادية سفيرًا للسعودية لدى البحرين (سلفًا للدكتور غازي القصيبي) ثم لدى السويد، منتقلاً - بتندره المعهود - من الفرن إلى الثلاجة.

مال في السنين القليلة الأخيرة من حياته إلى الانطواء والتزام المنزل بسبب ظروفه الصحيّة، وهو بطبعه يغلب عليه العزوف عن التدخّل في شؤون غيره، لكنه كان يتابع الأحداث، ويشترك في تحليلها مع زواره المعدودين، ويحرص على الموضوعية في المناقشة، ويكون له رأي في المستجدّات، ويناقش في الأمور الفكرية والسياسية برأي ثاقب مستنير يغترف من تجربته وخبرته الطويلة، وهو مع دماثة حديثه ومودة علاقاته، يقتصد في الإطراء، أما عن الأضواء فهو عنها بعيد كل البعد لا يقيم لها وزنًا.

بُعيد سقوط نظام صدام حسين بدأت مأساة جديدة في العراق

مرثية دولة في حال موت سريري

لندن: عواد ناصر



انتخابات العراق.. هل كانت طائفية؟

صورة العراق، الأمس واليوم، رسمها ويرسمها المتصارعون على السلطة والمال والنفوذ، بشراهة سياسيين لا يشبعون، جمعتهم إدارة الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش، قبيل احتلال العراق عام 2003، من شوارع المنافي، كما قال بول بريمر الحاكم المدني التنفيذي لسلطة الاحتلال في مذكراته، وأضاف: «لم نجد شخصية عراقية أمينة ووطنية تحكم العراق ما بعد 2003».

عند تلك اللحظة المرتبكة، بُعيد سقوط نظام صدام حسين، بدأت مأساة جديدة، أكثر قسوة ومرارة على العراقيين؛ إذ إن بناء نظام سياسي جديد أشد صعوبة بكثير من إسقاط نظام سابق لم يدافع عنه حتى بعض أقرب مقربيه.

يقدم الكاتب كتابه بأنه «يضم مقالات كتبت بعد 2003 في صحف ومواقع إلكترونية مختلفة، وبعضها كُتب في ظروف لا أظن أن الكثيرين تسنى لهم فيها قراءتها، وهي بمجموعها تمثل تلك الحركة الوئيدة التي دفع بها الماضي الديكتاتوري وسيطرة الأنظمة السياسية على الدولة، إلى لحظة الاحتلال الأجنبي، ومن ثم إلى نظام سياسي أجهز على ما تبقى من الدولة وفكك المجتمع العراقي».

المواطن والدولة

ينطلق كتاب سهيل سامي نادر «المريض العراقي - سلالم نازلة إلى الإخفاق السياسي الكبير» من أزمة العلاقة بين المواطن والدولة، أو من يمثلها من زعماء ومؤسسات وأحزاب، حاكمة ومعارضة، فهو يبدأ من مشهد شخصي عاشه شابا يتمثل من مصادفة نادرة جعلته وجها لوجه مع الزعيم عبد الكريم قاسم، رئيس وزراء أول جمهورية عراقية عام 1958.

لقاء المواطن العراقي الشاب (سهيل سامي نادر) بلقاء الزعيم قاسم ذو دلالة خاصة تكشف عن مسافة اغتراب شخصي مبكّر بين مواطن عادي وزعيم شهير، وفي وصف الكاتب لذلك اللقاء (هو اللقاء الثاني بعد سابقه ضمن وفد شبابي) نكتشف معه ذلك الاغتراب المبكر، بين المواطن العادي والدولة ممثلة بزعيمها الأوحد:

«...عندما مرت سيارة الزعيم مبطئة، كنّا تقريبا في الشارع، بحيث اتجه سائقه قليلا إلى اليسار، نحو الرصيف، ورأيته الوجه بالوجه، وجلوسه المتصالب على المقعد الخلفي، مدّ ذراعه محييا ومبتسما، إلا أنني لم أرفع يدي لرد تحيته ولم أبتسم. كنت أنظر في عينيه، في وجهه في ابتسامته البريئة، المشرقة، مرتديا قناعا جافا معدا لإنكاره وتجاهله وعدم المعرفة به، صديقي شعر بالحرج إلا أنني أمسكت يده وأفهمته ألا يفعل. عرف الزعيم أن ثمة إرادة وقحة تتحداه. اختفت ابتسامته وحل محلها تساؤل مستغرب، طفولي، وعندما اجتازتنا سيارته أدار رأسه إلينا مندهشا، من هذه القسوة غير المبررة، وظل هكذا حتى غاب في عمق الشارع».

الفقرة الأنفة رمزية قدر ما كانت واقعية أسست لافتراق أول بين المواطن وزعيمه، وإذ يضعها الكاتب في الصفحات الأولى من كتابه فهو يدعو قارئه للتعارف. التعارف الفكري والمزاجي بين الاثنين ليسيرا معا في السياق الذي يقترحه نادر، مقدمة لما سيأتي من أفكار وخيبات وافتراقات أشد وضوحا بين المواطن ودولته.

يوجه الكاتب خطابا نقديا شجاعا وصريحا لثقافة الثنائية العراقية الماثلة: الجلاد والضحية، وهي ثنائية تتفرع عنها ثنائيات عدة: الأبيض والأسود، القاعدة والقيادة، الحرية والعبودية (مفاهيم أو سوء فهم)، الإمكانات المتوافرة و«اليوتوبيات المستحيلة»:

«الآن في هذه اللحظة الفارغة من التاريخ السياسي العراقي يبدو بلدنا مطوقا بفكر اليوتوبيات المستحيلة، مطوقا بتاريخ هائل من العسف والانحطاط، ومن دون أمثلة تاريخية مهمة، وإذا ما بحثنا عنها فسنجد أنفسنا نمتثل لحالة انتقائية مثيرة للشفقة».

انتخابات ما بعد صدام

صمم الأميركان انتخابات ما بعد صدام على أساس قومي وطائفي؛ ظنا منهم أن هذا التقسيم سيرضي جميع العراقيين بما أنهم بلد متنوع الأديان والطوائف والقوميات والإثنيات، التي كثيرا ما أطلقنا عليها نعت «المتآخية» في كتاباتنا السياسية والحقيقة إنه تآخٍ مزعوم عندما ندرك أن الدولة المدنية، وحدها، هي من تتبنى هذا التآخي وتحميه، وتتيحه للجميع ضمن الدستور والقانون.

بسقوط ديكتاتورية صدام لم تقم في العراق دولة مدنية، كما حلم العراقيون، بل قامت ديكتاتورية من نوع مختلف: ديكتاتورية العملية السياسية برمتها، تقودها أحزاب قومية وطائفية اختزلت التنوع الحقيقي إلى تمثلات كتلوية لا تمت إلى المجتمع العراقي بصلة سوى صلة التسميات السياسية التي حملتها تركيبة النظام الجديد.

أي أن الانتخابات لم تتح الفرصة للمكونات السياسية والفكرية المختلفة عبر أحزاب وشخصيات سياسية، مدنية، بعيدة عن التقسيم الكتلوي والطائفي.

يوضح سهيل سامي نادر معضلة الانتخابات العراقية الأولى، مثلا، من خلال فوز الطائفة لا الحزب (نوري المالكي، مثلا) «لقد أيقظت الانتخابات الأولى الروح الطائفية وسيّستها، لتعززها الثانية، ابتداء من لحظة ظهور نتيجتها، من خلال معركة أديرت بشراسة من أجل تكريس قيادة المالكي، ليس بوصفه فائزا، بل لأنه ينتمي إلى طائفة معينة».

هذا، وما رافقه من تكريس نظام المحاصصة ألغى أي إمكانية للمنافسة السياسية، وليس السياسة التنافسية، رغم أن مبدأ المحاصصة ليس خطأ من الناحية النظرية، عندما يطبق بشكل مدروس على أساس ممثلي الشعب بمكوناته كافة، لكنه، في الحالة العراقية، مثل اقتساما لأسلاب دولة صدام بشكل يدعو للخجل. «ضج الناس من المحاصصة؛ لأنها طبقت بشروط همجية استولت على الدولة وحولتها إلى بقرة حلوب».

يقدم سهيل سامي نادر في كتابه هذا شهادته المواطن - الكاتب على تطورات الصراع السياسي في العراق بروح نقدية عالية، مفككا ظواهر مشتبكة أو متجاورة، مثلت صورة العراق الحقيقية بعد 2003، عبر رصد أبرز مفاصلها، وإن بدا الكاتب على شيء من السخط على، واليأس من مستقبل يمكن الاطمئنان عليه، جراء ماض وحاضر يعجان بالفساد والإرهاب، وغياب روح المواطنة عن زعماء طائفيين وفاسدين، يسيرون بالبلد إلى الهاوية أكثر فأكثر، ليأتي كتابه مرثية تليق بدولة تسير إلى حتفها بخطوات واثقة.